مركز البيدر للدراسات والتخطيط
Al-Baidar Center for Studies and Planning

قراءة في كتاب

كيف حدث ما حدث في العراق
قراءة واشنطن الخاطئة لصدام حسين

مجلة فورين أفيرس

ترجمة وتحرير مركز البيدر للدراسات والتخطيط

في كثير من الأحيان تنبع السياسة الخارجية نتيجةً للتطورات التكنولوجية، فعندما كانت القوات البحرية تعتمد على الرياح، كان الخشب اللازم لبناء السفن الشراعية مورداً طبيعياً ثميناً. ومع ظهور الطاقة البخارية، تحوّلت المناجم ومحطات الفحم إلى أصول استراتيجية بالغة الأهمية. ثم أدى التحول من البخار إلى النفط الذي جعل رواسبه كنوزاً لا تُحصى.

تم اكتشاف الثروات النفطية في الشرق الأوسط لأول مرة عام 1908، وسرعان ما أصبحت المنطقة أساسية للاقتصاد العالمي، حافظت المملكة المتحدة، القوة الاستعمارية المهيمنة، على النظام في المنطقة، ولكن في العقود التي تلت الحرب العالمية الثانية، تولت الولايات المتحدة هذا الدور. في سبعينيات القرن الماضي، حاولت واشنطن إسناد مهمة الأمن الإقليمي إلى حلفاء محليين، بالاعتماد على إيران والمملكة العربية السعودية للحفاظ على تدفق إمدادات النفط.

إلاّ إن الثورة الإيرانية عام 1979 في طهران حولتها من صديق إلى عدو، علّقت واشنطن آمالها على توازن القوى، وتلاعبت بالمساعدات لكل من العراق وإيران خلال حربهما الوحشية لمنع أي من البلدين من الهيمنة على الخليج العربي. لكن هذه الاستراتيجية انهارت عام 1990، عندما استولى العراق على الكويت وهدد المملكة العربية السعودية.

عند هذه النقطة، تدخلت إدارة جورج بوش الأب لإدارة الوضع بشكل مباشر، وقادت تحالفاً دولياً لصد العدوان العراقي واستعادة سيادة الكويت. لكن صدام حسين، تمكن من النجاة من الحرب واستعادة السيطرة على معظم أراضي بلاده. لذا، تراجعت الإدارة إلى سياسة العقوبات والاحتواء، التي استمر فيها خلفاؤه لعقد من الزمان.

بعد هجمات الحادي عشر من سبتمبر وفي أعقاب ذلك لم تقرر إدارة جورج دبليو بوش حل مشكلة الإرهاب فقط، بل مشكلة العراق أيضاً، فاختارت غزو البلاد والقضاء على نظام صدام بالقوة. سارت عملية الغزو كما هو مخطط لها إلى حد كبير، لكن تبعاتها كانت فوضوية. تحول التحرير إلى احتلال؛ وتحول عدم الاستقرار المحلي إلى تمرد ثم حرب أهلية. وانتهى الأمر بقوات أمريكية في العراق تقاتل عدواً هنا وآخر هناك لما يقرب من عقدين من الزمن.

كانت حرب العراق كارثية، بل في الواقع، خطأً فادحاً وغير مُبرر، لدرجة أنها تبدو الآن محوراً لحقبة ما بعد الحرب الباردة بأكملها، لحظة تحوّل الهيمنة الأمريكية من نجاح إلى إشكالية، مُرحّباً بها ثم مُقاومة. بعد عقدين من الزمن، تلاشت لحظة الأحادية القطبية، مع تلاشي أحلام شرق أوسط أفضل ورغبة أمريكية في المشاركة الدولية الفاعلة. يبقى لغز كيف حدث هذا الفشل الذريع المُدمّر للذات في المقام الأول.

عندما تبيّن عدم صحة مزاعم ما قبل الحرب بشأن حالة برامج أسلحة الدمار الشامل العراقية، اعتقد الكثيرون أن أجندة أخرى كانت وراء تصرفات واشنطن - مثل انتقام عائلي، على سبيل المثال، أو حماسة أيديولوجية، أو رغبة في التربح من الموارد العراقية. دحضت الدراسات التاريخية الحديثة هذه النظريات، مُظهرةً أن مسؤولي إدارة بوش اعتقدوا بالفعل أن سياسة الاحتواء تنهار، وكانوا يخشون حقاً ما قد يفعله العراق لاحقاً. ما لم يعرفوه وما كانوا ليصدقوه - لأنه لم يكن أحد ليصدقه - هو الحقيقة. لقد دمّر نظام صدام جميع برامج أسلحة الدمار الشامل تقريباً في أوائل التسعينيات، لكنه استمر لعقد من الزمان يُظهر بوضوح أنه احتفظ بالكثير منها، مُضحياً بنفسه في هذه العملية.

هذه هي الحكاية الغريبة التي رواها الصحفي ستيف كول في كتابه "فخ أخيل"، وهو تاريخ لبرامج صدام للأسلحة غير التقليدية والمحاولات الأمريكية لإنهائها. يستند الكتاب إلى حد كبير على السجلات العراقية التي تم الاستيلاء عليها ومقابلات مع مسؤولين سابقين، وهو واضح وسهل القراءة ودقيق، ويقوم بعمل جيد في تقديم وجهة النظر من بغداد - ليس فقط بتوثيق ما حدث ولكن أيضاً للمساعدة في تفسير ما يبدو أنه لا يمكن تفسيره. كان سلوك صدام بعد حرب الخليج استفزازياً وغير عقلاني بشكل خطير. بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، جلبت الإدارة الجديدة في واشنطن المصدومة مشاكلها النفسية الخاصة وطرحتها على الطاولة. وفي عام 2003، تحول سوء الفهم المتبادل بينهما إلى كارثة. كتب المنظر العسكري الصيني "صن تزو" عن الحاجة الماسة للاستراتيجيين إلى «معرفة العدو ومعرفة نفسك». تُظهر حرب العراق ما يحدث عندما لا يعرف أي من الجانبين أياً منهما.

راشومون في الصحراء[1]

يقدم كول سرداً حيوياً حافلاً بالتفاصيل اللافتة للنظر. يتعلم القراء، على سبيل المثال، أن خير الله طلفاح - عم صدام ومعلمه - لخص فلسفة العائلة في عمل بعنوان "ثلاثة ما كان ينبغي أن يخلقهم الله: الفرس واليهود والذباب". كان صدام نفسه قاتلاً مأجوراً في العشرينيات من عمره وروائياً غزير الإنتاج في الستينيات من عمره. كان يعتقد أن ولاء الناس يمكن الحكم عليه من خلال التنصت على أطفالهم والتحقق من مكان عرض صورته في منازلهم. كان ابناه، عدي وقصي، وحوشاً، وتباهى صهره حسين كامل بأنه أجبر أحد مرؤوسيه على شرب البنزين ثم أطلق النار عليه في بطنه ليرى ما إذا كان سينفجر.

1. استعارة ثقافية وأدبية، تشير إلى حالة من تعدد الروايات أو الحقائق المتناقضة حول حدث واحد، كما صُورت في الفيلم الياباني الشهير راشمون عام 1950.

تُوضّح العديد من قصص كول حقائق مهمة حول الثقافات السياسية الوطنية. في تسعينيات القرن الماضي، قدّم صدام رشاوى لمسؤولين روس وفرنسيين وصينيين ومسؤولين في الأمم المتحدة لكسب دعمهم، ولم يستطيع وزير خارجيته، طارق عزيز، فهم سبب عدم موافقة كبير مفتشي الأسلحة في الأمم المتحدة، الدبلوماسي السويدي رولف إيكيوس، على البرنامج. قال عزيز لإيكيوس: «يمكننا فتح حساب لك في سويسرا - على سبيل المثال، خمسمائة ألف دولار». أجاب إيكيوس: «ليست هذه هي الطريقة التي تُدار بها الأمور في السويد». بدأ أحد برامج الأسلحة البيولوجية العراقية كوحدة مُكلفة بحماية صدام من التسمم، وهو أمر اعتبره عزيز طبيعياً تماماً. قال لمفتش الأمم المتحدة: "أنت تعلم جيداً كما أعلم، أن كل حكومة في العالم لديها قسم في جهاز أمن الدولة مُخصص لاختبار طعام القيادة".

في هذه الأثناء، كان المسؤولون الأميركيون يتوصلون مراراً وتكراراً إلى تدخلات سرية حمقاء نادراً ما حققت أي شيء ذي قيمة، وكان مسارهم النموذجي يلخصه لوحة وضعها أحد ضباط الاستخبارات على جدار مكتبه، مكتوب عليها «المراحل الست لبرنامج العمل السري لوكالة المخابرات المركزية»: "النشوة، والارتباك، وخيبة الأمل، والبحث عن المذنبين، ومعاقبة الأبرياء، والتمييز بين غير المتورطين".

كانت النتيجة حواراً أصم، مع فهم ضئيل لكل جانب من قبل الآخر. في ثمانينيات القرن الماضي، على سبيل المثال، قدمت إدارة ريغان دعماً عسكرياً واسع النطاق للحكومة العراقية لمساعدتها على الصمود في الحرب العراقية الإيرانية، حتى مع قيام بغداد بقتل عشرات الآلاف من شعبها بالغاز. ولكن في الوقت نفسه، عملت الإدارة مع إسرائيل لتقديم الدعم العسكري لإيران على أمل الحصول على إطلاق سراح الرهائن الأمريكيين المحتجزين لدى حزب الله في لبنان، من خلال استخدام عائدات مبيعات الأسلحة لدعم

المتمردين المناهضين للشيوعية في نيكاراغوا. عندما انكشفت هذه المؤامرة، شعر صدام بالمرارة ولكنه لم يكن متفاجئاً، قائلاً لفريقه إن قضية إيران كونترا كانت مؤامرة برعاية إسرائيلية لتدميره. "أعني، الصهيونية -ماذا أصابكم يا رفاق- هل يجب أن أكرر ذلك في كل مرة؟"

يلاحظ كول أن «ما اعتبره كثير من الأمريكيين عجزاً فادحاً في السياسة الخارجية لبلادهم، فسّره صدام على أنه عبقرية مُتلاعبة». وتكررت أخطاء مماثلة على مر السنين، حيث دأب كل طرف على المبالغة في تفسير سلوك الطرف الآخر، مُبرراً سلوكه. يكفي أن نكتب كتاباً كاملاً عن خطأ الإسناد الأساسي من هذه الحالة وحدها.

الأسلحة المفقودة

يُخصّص كتاب "فخ أخيل" وقتاً طويلاً للعمليات السرية، ولكنه لا يُخصّص سوى القليل للنقاشات التي دارت داخل كل إدارة حول كيفية التعامل مع العراق . وتظهر آراء المؤلف الشخصية في تكهنات عرضية بأن المحاولات الأمريكية الأكثر صدقاً للحوار المباشر ربما كانت ستُخفّف من حدة التوترات، لكن هذه الآمال تُناقضها قصة الجهل المُطبق التي يرويها ببراعة. يظهر صدام من هذا الكتاب كشخص مُصاب بجنون العظمة، مُخدَع ذاتياً، شخص يكاد يكون من المستحيل التعامل معه بشكل بنّاء. وقد عبّر إيكيوس عن المشكلة بوضوح: «لدى صدام حسين وجهة نظر محدودة للغاية. فهو يتعامل إلى حد كبير مع مجموعة صغيرة من الناس، جميعهم تقريباً عراقيون». وأضاف إيكيوس أن تفكيره كان "غريباً ومُختلاً".

برزت هذه السمات في الإجراءات التي اتخذتها الحكومة العراقية خلال تسعينيات القرن الماضي، وهي أكثر إثارة للدهشة الآن بعد أن عُرفت القصة الكاملة. بعد أن أعاد صدام هيكلة وضعه الداخلي إلى حد كبير بعد حرب الخليج، لم يندم على أي شيء، وكان

مصمماً على كبح جماح أعدائه، واستعادة قوته العسكرية وحرية حركته الكاملة، ومواصلة مواجهة العالم. أدرك أن القبض عليه وبحوزته أسلحة دمار شامل سيُمثل مشكلة، وفي منتصف عام 1991، تخلص من معظم برامجه - ولكن دون إخبار أحد بذلك أو الاحتفاظ بسجلات لما تم إنجازه. إذ قال مدير البرنامج النووي العراقي لاحقاً: "لم نكن نعرف ما دُمر وما لم يُدمر، لقد كانت فوضى عارمة".

بعد أن ضمن صدام بذلك إرباكاً تاماً، ومع استمراره في إنكار أي تهم موجهة إليه لم تثبت بعد، تصرف كما لو كان من المفترض أن يفهم الجميع ما حدث. وعلى حد تعبير كول: افترض أن وكالة المخابرات المركزية الأمريكية (CIA) القوية كانت تعلم مسبقاً أنه لا يمتلك أسلحة نووية أو كيميائية أو بيولوجية، وبما أن أمريكا كانت تعلم الحقيقة، ومع ذلك زورت ادعاءاته بأنه لا يزال يخفي أسلحة غير مشروعة، فماذا يعني هذا؟ كان يعني أن الصهاينة والجواسيس المتحدين ضده يستغلون قضية أسلحة الدمار الشامل بسخرية لتعزيز مؤامرتهم لإسقاطه من السلطة. لم ير أي مبرر للعب لعبتهم أو التعامل مع مفتشيهم المتطفلين.

ومع ذلك، يُظهر كول أن حتى كبار المسؤولين العراقيين كانوا غير متأكدين من حالة برامج أسلحة الدمار الشامل في بلادهم. ففي أحد الاجتماعات التي سبقت غزو العراق عام 2003، على سبيل المثال، سأل علي حسن المجيد - المعروف بـ "علي الكيماوي" سيئ السمعة والذي أشرف على قصف أكراد العراق بالغاز في ثمانينيات القرن الماضي - بصراحة: «هل لدينا أسلحة دمار شامل؟» فرد عليه صدام: «ألا تعلم؟» أجاب علي: «لا». قال صدام: «لا». ولكن حتى في ذلك الحين، وفي مواجهة هجوم أمريكي وشيك قائم على وجود مثل هذه الأسلحة، لم يبذل العراقيون، لسببٍ غامض، أي محاولة حقيقية للاعتراف.

من الاحتواء إلى التراجع

من السهل قراءة كتاب كول كدعمٍ للحجة القائلة بأن سبب حرب العراق هو التهديد المتزايد الذي بدا أن صدام يُشكّله، والخوف الذي أثاره ذلك في واشنطن. يُصوّر كتاب "فخ أخيل" الزعيم العراقي كمعتدٍ مُتكرّر غير نادم، عازم على إعادة بناء قوته العسكرية. في الوقت نفسه، كان العديد من أولئك الذين دافعوا عن رفع العقوبات في الغرب يتقاضون رواتبهم منه، مما يجعل حججهم موضع شك. وحتى من دون الأدلة المُزيّفة التي روّج لها البعض مثل المنفي الدكتور أحمد الجلبي، كانت هناك أسبابٌ كافية للاعتقاد بأن صدام سيُغرق منطقته ذات الأهمية الاستراتيجية في صراعٍ مُجدداً يوماً ما.

ومع ذلك، فقد كان كل هذا صحيحاً لسنوات، لذا لا يُفسر قرار الولايات المتحدة في مطلع القرن الجديد تغيير مسارها والتعامل مع التهديد من خلال الحرب الوقائية. ولم يكن من الضروري أن تؤدي أحداث الحادي عشر من سبتمبر إلى مثل هذه النتيجة، لأن ما حدث في ذلك اليوم لم يكن له أي علاقة بالعراق. ما أدى إلى الحرب هو التحدي الكامن المتمثل في الحفاظ على أمن الخليج، بالإضافة إلى سلوك صدام الغريب، والتأثير النفسي لأحداث الحادي عشر من سبتمبر على حفنة من المسؤولين الأمريكيين ذوي الشخصية المنفلتة.

ولو فاز آل غور برئاسة الولايات المتحدة عام 2000 بدلاً من جورج دبليو بوش، لربما اندلعت حرب أخرى بين الولايات المتحدة والعراق، بالنظر إلى طموحات صدام الإقليمية وعزم الولايات المتحدة على إحباطها. لكنها كانت ستكون بمثابة إعادة لحرب الخليج، حيث يقوم صدام بعمل شنيع ويحشد غور تحالفاً للرد. لم تُعجب إدارة كلينتون سياسة الاحتواء الفوضوية التي ورثتها من سابقتها، لكنها لم تجد بديلاً أفضل منها. كنائب للرئيس، كان غور متشدداً في نقاشات إدارة كلينتون حول العراق، لكنه لم يُشر قط إلى

الدعوة إلى غزو غير مبرر، وليس هناك ما يدعو للاعتقاد بأنه كان سيشن غزواً كهذا كرئيس.

لقد كان العراق قوياً بما يكفي ليشكل تهديداً، لكنه كان ضعيفاً بما يكفي ليكون قابلاً للغزو.

كان من الممكن أن يحدث سيناريو مماثل لو عيّن جورج دبليو بوش شخصيات بارزة في الأمن القومي من الحزب الجمهوري في مناصب رئيسية في إدارته، مثل برنت سكوكروفت وروبرت غيتس، بدلاً من نائب الرئيس ديك تشيني ووزير الدفاع دونالد رامسفيلد، أو اختار تمكين شخصيات أخرى ممن عيّنهم، مثل وزير الخارجية كولن باول. ومع ذلك، حتى مع انتخاب بوش الذي ضمت إدارته العديد من المتشددين، لم تكن هناك أي تحركات لشن هجوم حتى وقعت أحداث الحادي عشر من سبتمبر، التي وضعت الإدارة في نهاية المطاف على طريق الحرب، ليس فقط في أفغانستان، بل في العراق أيضاً.

خلال إدارة كلينتون، برزت الجماعات الإرهابية الإسلامية المتطرفة المستقلة كتهديدٍ مُقلقٍ بشكل متزايد. إذ فجّرت هذه الجماعات مركز التجارة العالمي في نيويورك عام 1993، والسفارتين الأمريكيتين في تنزانيا وكينيا عام 1998، والمدمرة يو إس إس كول في اليمن عام 2000. وخلال الفترة الانتقالية الرئاسية، أبلغ مسؤولو كلينتون المنتهية ولايتهم نظراءهم في إدارة بوش أن هذه الجماعات تُشكّل التهديد الأكثر إلحاحاً الذي تواجهه البلاد، لكن فريق بوش تجاهل هذه التحذيرات -إلى جانب تحذيرات مسؤولي استخباراته الذين ازدادت توتراتهم- لاعتقاده أن الدول المارقة تُشكّل خطراً أكبر بكثير.

وعندما ضربت القاعدة نيويورك وواشنطن في الحادي عشر من سبتمبر، غمر الحزن والغضب والشعور بالذنب كبار المسؤولين في الإدارة. وقال بوش: «لم أكن دقيقاً في تقديري». ووافقه تشيني: «لقد أخطأنا». ومع ذلك، كان تحمّل المسؤولية بصدق

أمراً لا يُطاق. كان ذلك سيعني مواجهة الحقيقة المُزعجة المتمثلة في أن الآخرين لم يُخطئوا، وأنه يجب الآن الإنصات إليهم بدلاً من تجاهلهم. وللهروب من إذلال الخضوع لمنتقديهم والتنافر المعرفي الناتج عن اعتبار أنفسهم فاشلين غير أكفاء، أعاد بوش وكبار مستشاريه صياغة الموقف. فبدلاً من محاولة فهم سبب خطئهم بشأن هذا الهجوم، بحثوا عن هجمات مستقبلية يمكنهم منعها، وبذلك أعادوا تصوير أنفسهم كأبطال ذوي بصيرة. قالت مستشارة الأمن القومي كوندوليزا رايس: "ردكم ليس العودة إلى الوراء ولوم أنفسكم على أحداث الحادي عشر من سبتمبر، بل محاولة عدم السماح بحدوثها مرة أخرى".

من هذا المنظور، لم يكن العراق خطراً فحسب، بل مثّل أيضاً فرصة. كان البلد قوياً بما يكفي ليُشكّل تهديداً، ولكنه ضعيف بما يكفي ليكون قابلاً للغزو، وإن لم يكن متورطاً في أحداث الحادي عشر من سبتمبر، فعلى الأقل يُمكن تخيّل أنه مصدر مواد لهجوم آخر يُسفر عن خسائر بشرية كبيرة. إن الإطاحة بصدام ستُزيل التهديد، وتُعلن موقفاً حاسماً، وتُسوّي الأمور القديمة دفعةً واحدة. بعد أسبوعين من الكارثة، طلب بوش من رامسفيلد مراجعة تخطيط الحرب على للعراق. وبحلول نهاية عام 2001، كان تومي فرانكس، قائد القيادة المركزية للجيش الأمريكي، قد قدّم مخططاً للغزو. وبحلول منتصف عام 2002، قرر بوش شنّ هجوم ما لم يُؤكّد صدام بشكل قاطع نزع سلاحه.

إلى بغداد وما بعدها

كانت إدارات أخرى تحلم بالتخلص من صدام، لكن لم تخض أي منها حرباً من أجل ذلك، لأن أياً منها لم يرغب في تحمل مسؤولية إدارة بلاده بعد ذلك. وكما قال تشيني عام 1994، دفاعاً عن قرار الولايات المتحدة عدم إسقاط صدام خلال حرب الخليج: «بمجرد وصولكم إلى العراق والاستيلاء عليه، وإسقاط حكومة صدام حسين، فماذا ستضعون

مكانه؟... إنه مستنقع». تجاوزت إدارة جورج دبليو بوش هذه المشكلة بتجاهلها. افتقرت خطتها الحربية إلى نهاية، ولذلك، وكما هو متوقع، لم تنتهِ الحرب حقاً، بل ظل الصراع يتأرجح بين معركة وأخرى لسنوات تالية.

ومن الواضح الآن أن عدة أشخاص كانوا مسؤولين عن هذا الإغفال الصارخ. مستشار أمن قومي ضعيف لم يُنسّق سياسات الإدارة. وزير دفاع مارق طالب بالسيطرة على تخطيط ما بعد الحرب، وحصل عليه، ثم لم يُقدّم أي عمل جدير بالاهتمام. قائد ميداني مُتفوق لم يُفكّر قط فيما يتجاوز المستوى العملياتي للحرب. لكن المسؤولية تقع على عاتق القائد العام غير المُهتم، الذي لم يُفكّر ملياً في العواقب المتوقعة للقرارات التي كان يتخذها.

في العام الماضي، تناول المؤرخ الدبلوماسي ميلفين ليفلر، في كتابه "مواجهة صدام حسين" ، موضوعاً مشابهاً لموضوع كول، مقدماً وجهة نظر واشنطن ومدافعاً عن إدارة بوش في وجه منتقديها ذوي نظريات المؤامرة. لكن حتى هو قدّم اتهاماً دامغاً. كتب ليفلر: «لم يكن بوش يُحبّذ الجدل الحاد، ولذلك لم يُدعِ إلى تدقيق منهجي في السياسات التي كان يميل إلى اتباعها». وأضاف: "لم يكن قادراً على إدراك حجم المشروع الذي كان يتبناه، والمخاطر التي ينطوي عليها، والتكاليف التي سيتكبدها".

لماذا نفّذت حكومةٌ بأكملها، مليئةٌ بمسؤولينَ ذوي معرفةٍ أفضل، خطةً فادحةً بشكلٍ مُستهتر؟ هذا سؤالٌ منفصل. عندما يحدث هذا النوع من الأمور في أنظمةٍ ديكتاتوريةٍ مثل عراق صدام أو روسيا فلاديمير بوتين، يفترض المراقبون بطبيعة الحال أن السبب هو التكلفة الباهظة للمعارضة. يُظهر الغزو الأمريكي للعراق أن هذا الإكراه ليس ضرورياً؛ فالخضوع البيروقراطي للسلطة والانتهازية الروتينية كفيلان بضبط الناس.

تبرز من هذا المشهد المؤسف مجموعتان من الدروس، إحداهما تتعلق بالإجراءات والأخرى بالسياسات. في هذه الأيام، تدرك المؤسسات ذات الإدارة الجيدة كيف يمكن أن يؤثر علم النفس على الأداء، وتسعى جاهدةً للحفاظ على اتزان موظفيها ووعيهم الذاتي. على سبيل المثال، يُوظّف فريق نيويورك يانكيز للبيسبول علماء سلوك في المكتب الأمامي، ويُعيّن أخصائياً نفسياً للموظفين في غرفة تبديل الملابس، وهو أول شخص يراه كل لاعب عند دخوله وآخر شخص يراه عند مغادرته. وبالمثل يمكن لغرفة عمليات البيت الأبيض أن تفعل شيئاً مشابهاً، على أمل تحسين النقاش هناك، من خلال إزالة الحواجز المعرفية والعاطفية للمشاركين.

علاوة على ذلك، ينبغي أن تُعقد نقاشاتٌ هناك، يتناول خلالها كبار المسؤولين بحرية المزايا النسبية لبدائل سياسية متعددة. من أبرز الحقائق الدالة على قرار خوض الحرب في العراق عدم عقد أي اجتماع اتُخذ فيه مثل هذا القرار. لم تُجبر الإدارة نفسها في أي وقت على التصريح رسمياً بأهداف الحرب والاستراتيجية لتحقيقها - وهو فشلٌ سمح للفجوات الهائلة في تخطيطها بالبقاء دون ملاحظة أو اعتراض. إن الإجراءات الجيدة لا تؤدي بالضرورة إلى سياسات جيدة، لكنها قد تُساعد في استبعاد السياسات السيئة بشكل واضح، وهذا أمرٌ مهم.

حتى أساتذة الزن[2] الذين يتبعون أفضل ممارسات الإدارة، كانوا سيجدون صعوبة في التعامل مع صدام. أطلقت عائلة حسين على إحدى أدواتها الاستثمارية السرية اسم مونتانا مانجمنت، على ما يبدو تكريماً للبطل المضاد لفيلم سكارفيس عام 1983. ومثل شخصية آل باتشينو المدمرة للذات، كان من المقدر لصدام وأبنائه أن يواجهوا نهايات

2 . المعلم الزن: هو شخص حقق فهماً عميقاً لطبيعة العقل والحياة من خلال التأمل والممارسة الروحية المكثفة، ويقوم بتوجيه الآخرين في طريق التنوير. يُعرف بأسلوبه المباشر والبسيط، وغالباً ما يستخدم طرقاً غير تقليدية لتحفيز التلميذ على إدراك الحقيقة.

عنيفة؛ والسؤال الوحيد هو متى وكيف. في ديسمبر 2003، أُلقي القبض على صدام في حفرة في مزرعة بالقرب من تكريت، ومات على منصة الاعدام بعد ثلاث سنوات. كما تم تعقب عدي وقصي في الموصل في يوليو 2003، وسلمهما صاحب مخبئهما مقابل مكافأة قدرها 30 مليون دولار. حاصرت القوات الأمريكية البيت وأمرت السكان بالاستسلام. أدت طلقات نارية من الداخل إلى إصابة أربعة جنود، مما أدى إلى اندلاع معركة بالأسلحة النارية استمرت ثلاث ساعات شملت قنابل يدوية ورشاشات ثقيلة وصواريخ أطلقتها طائرات هليكوبتر. وأخيراً، دمر وابل من الصواريخ المضادة للدبابات الغرفة الحصينة التي تحصن فيها حكام العراق المستقبليون السابقون. ولم يُسجل ما إذا كانوا صرخوا قائلين: "قل مرحباً لصديقي الصغير".[3]

في أحد المرات قال الرئيس بيل كلينتون لموظفيه إنه وجد العراق «أصعب المشاكل لأنه يفتقر إلى استجابة سياسية حكيمة». وبمجرد نجاة صدام من حرب الخليج، كان من المنطقي أن تحاول الولايات المتحدة احتوائه دون الانجرار إلى صراع شامل آخر. لكن هذا النهج كان مكلفاً ومحفوفاً بالمخاطر ويصعب الاستمرار فيه. رفضت إدارة جورج دبليو بوش قبول أن هذا المسار غير المُرضي هو الخيار الأقل سوءاً المتاح، وانزلقت بلا مبالاة إلى الهاوية. لو تصرف القادة في بغداد أو واشنطن بشكل أقل تهوراً، لما اندلعت الحرب. لكن تحدي حماية الاقتصاد العالمي من توني مونتانا[4]، مثله مثل بغداد، كان سيظل قائماً.

3 . في إشارة إلى جملة «آل باتشينو» الشهيرة من فيلم « سكارفيس».

4 . توني مونتانا، اسم شخصية آل باتشينو في فيلم «سكارفيس».

هوية الكتاب

العنوان: كيف حدث ما حدث في العراق .. قراءة واشنطن الخاطئة لصدام حسين

اسم المؤلف: مجلة فورين افيرس - جدعون روز - زميل أول مساعد في مجلس العلاقات الخارجية

تأريخ النشر: حزيران - يونيو 2025

الرابط:

https://www.foreignaffairs.com/reviews/how-iraq-happened-saddam-hussein

ملاحظة:

الآراء الواردة في هذا البحث لا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر المركز، إنما تعبر فقط عن وجهة نظر كاتبها

عن المركز

مركز البيدر للدراسات والتخطيط منظمة عراقية غير حكوميّة، وغير ربحِيّة، أُسِّس سنة 2015م، وسُجِّل لدى دائرة المنظمات غير الحكومية في الأمانة العامة لمجلس الوزراء.

يحرص المركز للمساهمة في بناء الإنسان، بوصفه ثروة هذا الوطن، عن طريق تنظيم برامج لإعداد وتطوير الشباب الواعد، وعقد دورات لصناعة قيادات قادرة على طرح وتبني رؤى وخطط مستقبلية، تنهض بالفرد والمجتمع وتحافظ على هوية المجتمع العراقي المتميزة ومنظومته القيمية، القائمة على الالتزام بمكارم الأخلاق، والتحلي بالصفات الحميدة، ونبذ الفساد بأنواعه كافة، إدارية ومالية وفكرية وأخلاقية وغيرها.

ويسعى المركز أيضاً للمشاركة في بناء الدولة، عن طريق طرح الرؤى والحلول العملية للمشاكل والتحديات الرئيسة التي تواجهها الدولة، وتطوير آليات إدارة القطاع العام ورسم السياسات العامة ووضع الخطط الاستراتيجية، وذلك عن طريق الدراسات الرصينة المستندة على البيانات والمعلومات الموثقة، وعن طريق اللقاءات الدورية مع الجهات المعنية في الدولة والمنظمات الدولية ذات العلاقة. كما يسعى المركز لدعم وتطوير القطاع الخاص والنهوض به، بما يقلل من اعتماد المواطنين على مؤسسات الدولة.

حقوق النشر محفوظة لمركز البيدر للدراسات والتخطيط

www.baidarcenter.org

info@baidarcenter.org